عنوان الرسالة :	خبرات الإساءة في مرحلة الطفولة وعلاقاته ببعض الاضطرابات النفسية /لدى عينة من تلاميذ المرحلة المتوسطة بمدينة جدة
اسم الباحث :	مسفر بن يحيى القحطاني
الدرجة العلمية :	ماجستير
جهة التخرج :	جامعه ام القرى
تاريخ الرسالة :	هـ1427

الفصل الأول

مدخـــل إلى الدراسـة

- مُقَدِمة
- مُشكلة الدراسة و تساؤلاتها ٠
- أهمية الدراسة ٠
- أهداف الدراسة٠
- مصطلحات الدراسة٠
- حدود الدراسة

مُقَدِمة:

أطفال الأمة هم أمل الغد، وبهم تنهض، وهم أساس استمرارها وعليهم تعلق الآمال، وعلى قدر ما يحصل عليه الأطفال من حقوق هي لهم مشروعة وواجب على كل أب وأم، بقدر ما يتحقق على أيديهم نجاح مجتمعاتهم ورقيها.

ومن هذه الحقوق والواجبات أن ينشأ النشأة السليمة في محيط أسري ينعم بالرحمة والهدوء ومحيط مجتمعي يوفر لهم الأمان والاستقرار ويدفعهم نحو الأمام بقوة وثبات حتى ينعموا بقدرٍ من الصحة النفسية بعيداً عن خبرات الإساءة وكل ما يدمر الذات وينهي الشعور بالاطمئنان واستقرار النفس، وتتباين المجتمعات الإنسانية في منح الأطفال حقوقهم وما لهم من واجبات وذلك من ثقافة مجتمع إلى آخر بحسب المنطلقات العقدية والفكرية التي تقوم عليها كل مجتمع وظروفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ والأطفال لا تقتصر حاجاتهم على الغذاء والملبس والمأوى والرعاية الصحية اللازمة فحسب بل يحتاجون أيضا إلى جانب ذلك كله إلى النمو النفسي والاجتماعي المتوازن المشبع لكل مرحلة من مراحلهم العمرية والتي تجعلهم أفراداً أسوياء ناضجين في كل ما يصدر عنهم من سلوك وفي طبيعة تفاعلهم مع أنفسهم ومع الآخرين.

ولكن حين يتعرض الأطفال خلال عملية التنشئة الاجتماعية إلي خبرات سيئة ومواقف مؤلمة فإن ذلك سيجعلهم عرضة للكثير من المشكلات والاضطرابات النفسية، وهذا ما نبه عليه علماء نفس الطفولة وعلماء الطب النفسي وعلماء التربية من أن " طفولة الإنسان تعتبر من أكثر مراحل الحياة أهية وخطورة وهي تلعب دوراً بارزاً في بناء قدرات الإنسان وتكوين شخصيته، وحتى وأن بعض مشكلات الكبار ترجع في أسبابها إلى مرحلة الطفولة وا إلى التجارب القاسية التي تحيط بالإنسان في طفولته " (الزراد،١٩٩٥م:٣٧).

ولقد أرجع فرويد حالات المرض في مراحل الكبر كما ذكر رشوان (١٩٩٢م:١٠) " إلى تجارب السنوات الخمس الأولى من حياة الشخص. وأكد أن جميع اهتمامات الشخص البالغ وتفضيلاته واتجاهاته وضعت جذورها في مرحلة الطفولة. ولذا يجب على المحلل النفسي أن يتتبع الأعراض المرضية، وأن يرجع في دراسته إلى التجارب التي

مارسها وعايشها الطفل، ولا يقف عند حد الفترة الزمنية التي تحدث فيها الحالة المرضية فبيئة الطفل الأولى ذات تأثير هائل في تعيين الطريق أمام التوافق في مرحلة الرشد ".

كذلك فأن تأثير خبرات الطفولة يمتد حتى يطال الشخصية كما أوضح الشرقاوي (د.ت: ٢٠١) بأن " خبرات الطفولة لها أهميتها بل خطورتها في المراحل المتأخرة من نمو الشخصية. فأهم ملامح شخصية الفرد تتشكل خلال الخمس أو الست سنوات الأولى من عمر الطفولة ".

وهذا ما أشار إلية عوض (١٩٩٢م:١٠) حيث ذكر " أن شاب اليوم.. طفل الأمس، وأن نظرة على طفولته لجديرة بان تبين لنا الأسس النفسية لما عليه سلوكه اليوم من سواء أو شذوذ أو جناح، فلقد أشار علماء النفس لأثر الماضي المبكر من حياة الفرد في حاضره، ومن أثر الصدمات الانفعالية أبان مرحلتي الرضاعة والطفولة المبكرة في التمهيد لاضطراب الشخصية في عهد الكبر".

فالطريقة التي يُربى بها الطفل في سنواته الأولى لها كما يرى الشربيني (١٤٢٣هـ:٩) " دور مهم في تكوينه النفسي فأسلوب التربية الذي يثير مشاعر الخوف وانعدام الأمن في مواقف التفاعل يترتب عليه تعرض الطفل لمشكلات نفسية أو اضطرابات نفسية ".

وتاريخياً فأن سوء معاملة الأطفال والقسوة في التعامل معهم لها تاريخ طويل إذ تعددت صور إساءتهم وإهانتهم لدى معظم المجتمعات وعبر التاريخ الإنساني.

ففي العصور القديمة كما ذكرت ممدوحة سلامة (١٩٩٣م:٤٤- ٤٥) " كان الأطفال يقدمون كقرابين، كما كان غير المرغوب فيهم من قبل ذويهم – وبصفة خاصة البنات – يتم تركهم في العراء على سفوح الجبال حتى الموت، كذلك في العصور الحديثة . عصر الثورة الصناعية. كان الأطفال يعملون لساعات طويلة في المصانع وفي تنظيف المداخن وفي مناجم الفحم وقد كان للجروح والإصابات التي قاسى منها هؤلاء الأطفال الفضل في نشأة ودفع حركة الإصلاح في القرن التاسع عشر".

أما الاهتمام بدراسة وعلاج مشكلة إساءة معاملة الأطفال فهي حديثة نسبياً وخصوصاً في مجتمعاتنا العربية ودليل ذلك أن ما هو متوفر من الدراسات العربية في هذا الجانب كانت خلال العقدين الماضيين . على حد علم الباحث . كما أنها قليلة وقد يعزى ذلك إلى عدة أسباب منها ما ذكره ناضرين(٢٠٠٣م:١) من أن السبب يعود إلى " اعتقاد

البعض بأن هذه الأمور خاصة لا تعنينا في كثير أو قليل وهي ليست تلك المشكلة التي تستحق عناء البحث، فهم يرون بأن الطفل سوف يتجاوز هذه المرحلة، وعندها تنتهي كل المشكلات، إلأن من عانى منها لا يزال يذكرها وا ٍن كان يحاول جاهداً نسيانها أو تناسيها ".

ومن هنا كان اتجاه الباحث نحو هذا الموضوع ولذا سعت دراسته الحالية إلى محاولة التعرف على العلاقة بين خبرات الإساءة التي يتعرض لها الأطفال وبعض الاضطرابات النفسية التي اقتصرت عليها الدراسة الحالية وهي القلق، والاكتئاب، والرهاب، كما تسعى كذلك إلى محاولة التحقق من وجود فروق بين الآباء والأمهات في إساءة معاملة الأطفال لدىعينة الدراسة، وا ٍلى معرفة ما إذا كان هناك فروق في الاضطرابات النفسية بين عينة الدراسة مرتفعي ومنخفضي الإساءة، كذلك محاولة التعرف على إمكانية التنبؤ بهذه الاضطرابات النفسية – سالفة الذكر– من خلال التعرض لخبرات الإساءة الجسمية والنفسية من قبل الآباء والأمهات.

مُشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

طفولة الإنسان كما أوضح علماء النفس هي أهم مرحلة من مراحل حياته لأنها كما أشارت سناء العبدالرحيم (١٤٢١هـ :٣٩) " المرحلة التي يتحدد فيها مفهوم هذا الإنسان للحياة ونظرته إليها فإذا تعرض لخبرات مؤلمة أختل نموه النفسي وأصبح مهيأ للانحراف في أي مرحلة من مراحل حياته، هذه الخبرات المؤلمة مصدرها أسرة الطفل لأنها البيئة الوحيدة المحيطة به في هذه المرحلة ".

وتعد مشكلة إساءة معاملة الأطفال مشكلةعالمية، ولا تخلُ منها معظم المجتمعات، حيث أشار ووالر، وآخرون (Wallor,et al,1989:310-315) إلى أن " إيذاء الأطفال يحدث في كل المجتمعات والأعراق وكذلك كل المستويات الثقافية والاقتصادية، ومنذ أزمان بعيدة ".

وهذا ما أشار إلية الخبير الدولي المعني بإعداد دراسة الأمم المتحدة حول مناهضة العنف ضد الأطفال (باولو سيرجيو بينيرو) حيث ذكر " أن العنف ضد الأطفال مشكلة عالمية ذات درجات متفاوتة من الخطورة حيث هناك نحو ٤٠مليون طفل يتعرضون سنوياً لنوع ما من العنف أو سوء المعاملة،وأن الدراسة التي يعدها والتي ستنتهي في عام

٢٠٠٦م تستند على التوصيات الصادرة عن المؤتمر الإقليمي لمناهضة العنف ضد الأطفال الذي عقد مؤخراً بالقاهرة وقال أنه سيعد تقريراً شاملاً بهدف إعطاء صورة متعمقة لظاهرة العنف ضد الأطفال على مستوى العالم لعرضه على لجنة حقوق الإنسان في اجتماعها الثاني والستين المقرر عقده في عام ٢٠٠٦م " (عكاظ ،١٤٢٦هـ:١١).

والمجتمع السعودي شأنه كشأن بقية المجتمعات الإنسانية الأخرى والتي لا تخلُ من وجود ظواهر سلبية كظاهرة الإساءة للأطفال.

فالمملكة العربية السعودية كما أوضح عبيدين (١٤٢٦هـ:١٤) " كانت من أوائل الموقعين على معاهدة حقوق الطفل وهي بتبنيها الدين الإسلامي كمرجعية قانونية ثابتة تتفوق على غيرها من البلدان وذلك لأن الدين الإسلامي كان سباقاً إلى حماية الطفل ولعل من أول السلوكيات التي حرمها الإسلام في هذا الجانب هي منع وأد البنات ". حيث يقول الله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) (سورة التكوير :٩،٨).

وفي هذا الإطار قالت مها آل الشيخ مديرة إدارة المشروعات في برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية: " إننا نسعى جاهدين لمكافحة إساءة معاملة الأطفال في المملكة إذ أن هناك دراسة بنسب مخيفة تبين تعرض الأطفال في المملكة العربية السعودية للإيذاء وهي(٤٥%) من الأطفال معرضين للإيذاء بصورة يومية و(٢١%) يتعرضون للإيذاء بشكل دائم و(٢٤%) يتعرضون للإيذاء أحياناً و(٣٣,٦%) يتعرضون للإيذاء النفسي و(٢٥,٣%) يتعرضون للإيذاء البدني و(٢٣,٩%) معرضون للإهمال وهذه النسب تنذر بالخطر " (عكاظ، ١٤٢٥هـ: ٢١).

ورغم ندرة الأبحاث والدراسات في مجال إساءة معاملة الأطفال في الوطن العربي بوجه عام والمجتمع السعودي بوجه خاص. وافتقارها لإحصاءات دقيقة يمكن لها التعبير بوضوح عن حجم المشكلة إلا إنه توجد مجموعة من الدراسات التي توفرت للباحث. ففي دراسة محلية أجرها (الزهراني،١٤٢٦هـ) على ثلاثة مناطق بالمملكة العربية السعودية (الوسطى، الغربية،الشرقية) هدفت للتعرف على مدى انتشار المشكلة سوء معاملة الأطفال، ولقد أكدت النتائج على وجود مشكلة إساءة معاملة الأطفال في المجتمع السعودي، حيث نسبة الأطفال المتعرضين للإهمال المشاعر وصلت إلى (٢٧%) أما الإهانة فكانت بنسبة (٢٢,٧%) وأما المتعرضين للاعتداء الجنسي فكانوا بنسبة (٢٢%)

والمتعرضين للإهانة المادية فكانت بنسبة (١٨%) ووصلت نسبة المتعرضين للضرب (١٣%) والإهمال الطبي (٩%).

أما عالمياً، فأن الكثير من المجتمعات الغربية كما ذكر الفرحان (د.ت:٧٧) " قد بدأت بالفعل بدراسة (متلازمة الطفل المضروب)نظراً لكثرة الحالات المسجلة لديهم وقد أثبتت الإحصاءات في بريطانيا أن هناك واحداُ من كل ألف طفل تحت سن ٤ سنوات يصاب سنوياً بسبب إساءة المعاملة، وهناك احتمال بنسبة ٦% لإعادة الإساءة، أي أن هناك ٤٠٠٠ طفل يصابون سنوياً بكسور أو إصابات مختلفة بسبب إساءة معاملة الوالدين وفي أمريكيا أيضا هناك مليون طفل سنوياً يصابون بهذه المشكلة مما يؤدي إلى وفاة ما يقارب ٢٠٠٠ طفل سنوياً ".

" وتسجل التقارير الإحصائية أن وفيات الأطفال الناتجة عن العنف البدني تبلغ في الولايات المتحدة الأمريكية ما نسبته ٣% من أجمالي وفيات الأطفال بين عمر سنة إلى أربع سنوات حيث تأتي الولايات المتحدة الأمريكية في المركز الثاني على مستوى العالم بعد أيرلندا الشمالية .. ولا يعني هذا أن بقية المجتمعات في وضع أفضل بقدر ما يتعلق الموضوع بأهمية رصد المشكلة " (أحمد،١٤١٩هـ: ٧٥).

ولقد لمس الباحث من خلال عمله كأخصائي اجتماعي بمستشفى الصحة النفسية بالطائف أنه عند دراسته لحالات معظم مرتادي العيادة النفسية من المرضي العصابيين أنهم كانوا يعانون من تاريخ إساءة في طفولتهم. وهذا مما وجه أيضا دراسة الباحث الحالية.

وعلى ضوء ما تقدم، يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

١ـ هل هناك علاقة بين خبرات الإساءة الجسمية والنفسية التي يتعرض لها الفرد في الطفولة من قبل الأب والأم وبعض الاضطرابات النفسية ؟

٢. هل توجد فروق بين الآباء والأمهات في متوسط درجة إساءة معاملة الطفل ؟

٣. هل هناك فروق في اضطرابات النفسية بين عينة الدراسة من مرتفعي ومنخفضي الإساءة ؟

٤ـ هل هناك إمكانية للتنبؤ بالاضطرابات النفسية لدى عينة الدراسة من خلال التعرض لخبرات الإساءة الجسمية والنفسية من قبل الأب والأم ؟

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية هذه الدراسة في ناحيتين وهما:

الأهمية النظرية:

كونها تسهم في تقوية الصلة بين علم النفس الاجتماعي من جهة والصحة النفسية من جهة أخرى، فالطفولة تقع في إطار اهتمامهما كمرحلة عمرية لها حساسيتها وخطورتها الشديدة، كما أن الدراسة تناولت مشكلة ترتبط مباشرة بحياة الطفل وتوافقه النفسي والاجتماعي، والتي هي في الوقت نفسه مصدر قلق وحيرة للأهل والمربين لما يترتب عليها من فقدان الشعور بالأمن واعتلال صحة الطفل النفسية.

كذلك الإسهام في إثراء الدراسات والبحوث التي تسعى إلى معرفة العلاقة بين خبرات الإساءة الجسمية والنفسية من قبل الأب والأم وعلاقتها ببعض الاضطرابات النفسية، وا لقاء الضوء على هذه المشكلة التي يمكن القول أنها قد تضع الأسس لأية اضطرابات قد تظهر على شخصية الطفل عبر المراحل النمائية المختلفة.

الأهمية التطبيقية:

تتجلى الأهمية التطبيقية لهذه الدراسة من خلال ما أسفرت عنه من نتائج يمكن أن يستفاد منها في تصميم البرامج الإرشادية والتربوية الوقائية الموجهة للوالدين والقائمين على رعاية الأطفال، والتي من شأنها الإرشاد إلى الكيفية الصحيحة في التعامل مع الأطفال، وذلك للحد من انتشار الاضطرابات النفسية بين الأطفال والحد من تلك الآثار السلبية على كافة جوانب شخصية الطفل وفيما بعد.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى ما يلي:

١. معرفة العلاقة بين خبرات الإساءة الجسمية والنفسية التي يتعرض لها الفرد في طفولته من قبل الأب والأم وبعض الاضطرابات النفسية (القلق . الاكتئاب . الرهاب).

٢. التحقق من وجود فروق بين الآباء والأمهات في درجة إساءة معاملة الطفل.

٣. معرفة الفروق في الاضطرابات النفسية بين عينة الدراسة من مرتفعي ومنخفضي الإساءة.

٤. معرفة مدى إمكانية التنبؤ بالاضطرابات النفسية لدى عينة الدراسة من خلال التعرض لخبرات الإساءة الجسمية والنفسية من قبل الأب والأم.

مصطلحات الدراسة:

١ـ إســاءة معاملة الطفل:

هي كما عرفها عبدالغفار، وآخرون (١٩٩٧م:٤٠) بأنها: " هي كل ما من شأنه أن يعوق نمو الطفل نمواً متكاملاً سواء بصورة متعمدة أو غير متعمدة من قبل القائمين على أمر تنشئته، ويتضمن الإتيان بعمل يترتب عليه إيقاع ضرر مباشر للطفل كالإيذاء البدني، أو العمالة المبكرة، أو ممارسة سلوكيات واتخاذ إجراءات من شانها أن تحول دون إشباع حاجات الطفل المتنوعة التربوية، والنفسية، والجسمية، والانفعالية، والاجتماعية. وتوفير الفرص المناسبة لنموه نمواً سليماً ".

وفي الدراسة الحالية يقتصر الباحث على نوعين من الإساءة:

١ـ الإساءة الجسمية: ويقصد بها ما يلحق بالطفل من أذى بدني عمدي وليس عرضي كنتيجة لسلوك الوالدين أو أحدهما مثل (الضرب، الركل بالقدمين، الحرق، العض، الجروح، الخنق، الحرمان من التغذية، الحرمان من النوم، سواء حدث ذلك للعقاب البدني غير المناسب أو لمحاولة تهذيب الطفل).

٢. الإساءة النفسية: ويقصد بها الخبرات التي تعرض لها الطفل والتي تعني أي سلوكيات عمدية خاطئة يرتكبها الوالدين بصورة فردية أو جماعية، مما يترتب عليها ضرر على سلوكيات الطفل وانفعالاته وصحته النفسية ومعرفته وقدراته مثل (التقليل من شأنه . معايرته بعيوبه . تجاهله . السخرية منه) (مخيمر وعبدالرزاق،١٩٩٩م: ٣٨٩).

ويرى الباحث أن التعريف الإجرائي لخبرات الإساءة في هذه الدراسة هو: مقدار الدرجة التي يحصل عليها المفحوص من عينة البحث في إساءة المعاملة والتي يقيسها مقياس (خبرات الإساءة في مرحلة الطفولة) المستخدم في هذه الدراسة، حيث تشير الدرجة المرتفعة على المقياس إلى ارتفاع درجة الإساءة عند المفحوص.

٢ـ مرحلة الطـفولة:

هـي كمـا عرفتهـا بـاربرا انجلـر (١٩٩٠م: ١٤٣) بأنهـا: " تلـك المرحلـة العمريـة للإنسان التي تمتد من ظهور مرحلة الحديث أو الكلام المفيد إلى مرحلة تطور حاجة الطفل إلى الرفاق والأصحاب ".

ويقصد بمرحلة الطفولة في هذه الدراسة، أطفال المرحلة المتوسطة الملتحقين بعدد من مدارس وزارة التربية والتعليم بمدينة جدة.

٣ـ الاضطرابات النفسية:

عرفتهـا هويـدا احمـد ومحمـود (١٤٢٢هـ :١١٢) علـى أنهـا: " مجموعـة مـن الاضطرابات الوظيفية نفسية السبب عضوية العرض تصيب الشخصية، وتظهر في صورة أعراض نفسية وعضوية وتؤدي إلى اختلال نسبي وجزئي في جانب من جوانب الشخصية ".

وتشمل في الدراسة الحالية الاضطرابات التالية:

١. القلق Anxiety: وهي حالة القلق الشديد مع توقعات تشاؤمية باعثة على الخوف.

٢ـ الاكتئـاب Depression: وهـي حالـة مـن الحـزن أو الضـيق مـع فقـد الاهتمـام وسرعة الاستثارة والعزلة الاجتماعية.

٣. الرهاب Phobias: وهي خوف غير منطقي يرتبط بمواقف أو أشياء معينة ويصاحبه تجنب لها (حمودة وأمام،١٩٩٦م:٤).

ويرى الباحث أن التعريف الإجرائي للاضطرابات النفسية في هذه الدراسة هو: مقدار الدرجة التي يحصل عليها المفحوص من عينة البحث في الاضطرابات النفسية (القلق– الاكتئاب– الرهاب) على المقياس المستخدم في هذه الدراسة (الحالة النفسية للمراهقين والراشدين) وبشكل عام تدل الدرجات المرتفعة على وجود العرض المرضي بينما تدل الدرجات المنخفضة على السواء لدى المفحوص.

٤ـ المرحلة المتوسطة:

عرفها الحامد (١٤٢٣هـ: ١٠٨) بأنها: " تلك المرحلة التي تقع ما بين المرحلة الابتدائية بداية سلم التعليم العام والمرحلة الثانوية التي تمثل نهايته ".

ويقصد بالمرحلة المتوسطة في هذه الدراسة المستوى الدراسي الذي يضم طلاب (الصف الثالث المتوسط) بالمدارس المتوسطة التابعة لوزارة التربية والتعليم بمدينة جدة.

حدود الدراسة:

تتحدد هذه الدراسة بلحدود التالية:

– الحدود الموضوعية: حيث تتحدد هذه الدراسة بموضوع: خبرات الإساءة في مرحلة الطفولة وعلاقتها ببعض الاضطرابات النفسية (القلق– الاكتئاب– الرهاب) وتتحدد هذه الدراسة بالعينة المستخدمة وهي عينة من تلاميذ المرحلة المتوسطة بمدينة جدة.

– الحدود المكانية: أقتصر إجراء هذه الدراسة على عينة من مدارس المرحلة المتوسطة الحكومية التابعة لوزارة التربية والتعليم بمدينة جدة.

. الحدود الزمانية: تم تطبيق هذه الدراسة خلال الفصل الدراسي الثاني من العام ١٤٢٦هـ– ١٤٢٧ هـ.

ولذلك فإن إمكانية تعميم نتائج هذه الدراسةو الاستفادة منها ترتبط بحدودها المذكورة سابقاً .